في امكنتها الى اليوم وهي تضمّ رفات الذين آثروا احراق جثثهم على ايداعها اللحد

ثمّ تركنا هذا السرداب وسرنا الى حُجَر مدفنية تؤدي الى حُجَر تشبه الحجرة التي مرّ بك وصفها الّا انها عارية من كل نقش وزخرفة

ثمّ صعدنا على الدرج الكبير واذا نحن ببئر كائنة على جانب الدرج قد استخرج منها الفعلة اثناء الاشتغال في تفريغ مياهها ثلاثة رؤوس من الرخام الناصع البياض وهي معروضة اليوم في المتحف الاسكندري. ثم ولجنا بعد ذلك مسلكاً ضيقاً كلهُ مدافن ادّى بنا الى حجرة صغيرة تتضمّن قبوراً مسدودة عليها بقايا رسوم لا تخلو مشاهدتها من الافادة ومنها دخلنا قاعة كبيرة فيها عدّة مدافن منقورة بنفس جدرانها. وهذه القاعة تُعرف بقاعة كاراكلّا وسبب اطلاق هذا الاسم عليها هو لانهم وجدوا فيها تلك الجماجم والعظام البشريّة والحيوانية التي مرّ بك ذكرها. وقد عزى بعضهم وجود هذه العظام هناك الى المذبحة الشهيرة التي أحدثها كاراكلا احد ملوك الرومان الذي ملك من سنة ٢١١ الى ٢١٧ بعد المسيح وكان هذا الملك سفّاحاً سافكاً للدماء. كما يُعلَم من مطاوي تاريخ حياته وعلّلوا ذلك بقولهم انه لما بلغ الاسكندريين ما سيحدثه كاراكلا هذا فرّ فريق منهم هارباً الى تلك السراديب التي نحن بصددها حيث اختبأوا فيها مع خيلهم الّا ان جنود كاراكلا قد ادركوهم هناك واذاقوهم الموت الزؤام برمي الحجارة

هذا ولا تزال مصلحة الآثار تهتمّ باخراج المياه الباقية في الطبقة الثالثة كما لسلفنا في مقدمة هذه المقالة ولنا الامل ان هذا المسعى الجليل يصادف نجاحاً فيغتنم بذلك محبُّو الآثار فوائد جمة وسنوافي قرّاء المشرق الاغرّ عما يجدّ في تلك السراديب من الاكتشافات الهامّة في مقالة خصوصية ان شاء الله

القديس توما وخلاصته اللاهوتيّة

بقلم حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

هو القديس توما الاكويني نابغة القرن الثالث عشر في الفلسفة واللاهوت لخذ دروسهُ عن البرتوس الكبير فلقبهُ بعض رفاقهِ بالثور الصامت لشدة صمتهِ وعبالهِ فخالفهُ

استاذهُ فيهِ بقولهِ: ان هذا الثور اذا عاش فسيدوي خوارهُ في المسكونة كلها. فحقَّق القديس تكهُّن استاذهِ فهر وفاق وسار صيتهُ في الآفاق فعُرف بصخرة الكنيسة لا يزعزعها تيار الكفر الجارف ولا تقلقلها عواصف الاهواء الزائفة. وعمود عقائد الكنيسة الذي اعتمدت طيهِ آمنة مطمئنة بعد ان ظنَّها الجهلة قائمة على شفير التلاشي. وبحن الدين الكاثوليكي يناضل عنهُ نضالاً دونهُ نضال المستميت المتهالك قتلٌ شباة خصومهِ العديدين. ومطرقة المبتدعين التي اندقَّت بها رؤوس المبتدعة والملاحدة الشاحة فارتدوا خائبين خاسرين يحرقون الأرض غيظاً وحنقاً. والاستاذ الملكي الذي شرب زلال المعارف من معين اللاهوت حتى ارتوى عقلهُ منهُ فحلَّق في سماء الطبيعة البشرية. وشمس المدارس بعد ان اشرقت انوار حكمتهِ في اخريات ليالي القرون الوسطى فرقت غياهب الجهالة والضلالة عن سماء المغرب. والعلَّامة بين القديسين بطلومهِ الالهية والبشرية التي بزَّ بها اهلَ عصره فرأتهُ الكنيسة في مقدمة لفيف الاباء والعلماء المشاهير والقديسين الجليل بين العلماء وحسبهُ ما قالهُ البابا يوحنا الثاني والعشرون في اثناء تقديسهِ: لا حاجة لهُ الى العجائب لكي يُعدَّ في جملة القديسين من حيث انهُ اجترح من المعجزات بمقدار ما فكك من معضلات المسائل. الى غيرهِ من الاوصاف التي قرظهُ بها الاباء القديسون والعلماء الكاثوليكيون فرواهُ الرواة والمؤرخون الاثبات. ومن العجيب بعد هذا كلهِ ان يضرب صاحب دائرة المعارف عن ترجمتهِ الى ترجمة سميهِ توما الكمبيسي وبين الاثنين من الشهرة والمعرفة العلمية ما لا يجهلهُ احد

وما انا بمن يسرد اعمالهُ وفضائلهُ انما رويت ما ذكرتهُ وما سأذكره على سبيل الاستطراد مقدمة بين يدي ما يأتي من انتشار تعاليمهِ في الغرب والشرق وتعريب خلاصتهِ اللاهوتية الشهيرة فمن شاء مطالعة ترجمتهِ فطيهِ بمروج الاخبار في تراجم الابرار للاب بطرس فرماج اليسوعي فانها كافية وافية بالمرام

في الطريقة الفلسفية الجدلية

لستُ بباحث عن ماهية الفلسفة وموضوعها وعلاقاتها بسائر العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية واللاهوتية ولا بذكر اجزاء الفلسفة المعروفة بعلم المنطق وعلم ما وراء الطبيعة وعلم الادب ولا بمعدد مذاهب فلاسفة اليهود والهنود والفرس والصينيين والمصريين واليونان والرومان ولا بمستقص ما طرأ على الفلسفة من الاطوار متقلبة

بين الزهو تارةً والذبول اخرى فان كل هذا لا يسعهُ صدر مثل هذه المقالة الموجزة وقد وفاهُ حقَّهُ مؤرخو الفلسفة فليراجعهُ طلَّابهُ في مظانهِ ان شاؤوا

انما اقتصر على ما يقتضيهِ البحث ويندمج في مساق الكلام وهو الاسلوب المدرسي المعروف بالطريقة الفلسفية الجدلية التي خلفتْ الطريقة الاخرى الوضعيَّة . وهذا الاسلوب ليس هو الّا اخاء الايمان والعقل وائتلاف نظام الفلسفة بنظام اللاهوت معاً ونظامهُ عند الفلاسفة قائم في تجزئة المواد العلميَّة المتنوعة وفي ترتيب اجزاء الموضوع وفي تهيئة قضايا كلٍّ من اجزائهِ (اي الموضوع) وفي إعداد المواد بالنظام المنطقي واخيراً في حدّ وتعريف كل الالفاظ والاشياء المفتقرة الى الحد والتعريف واثبات القضايا المرتاب فيها بالقضايا المؤكدة الواضحة التي لا تفتقر الى بينةٍ او برهان (١

اما مشاهير الاسلوب المدرسي فلا يُذكر منهم سوى القديس يوحنا الدمشقي (+سنة ٧٥٤) والقديس انسلموس (+١١٠٩) وبطرس اللمبردي (+ ١١٦٠) والبرتوس الكبير (+١٢٨٠) والقديس توما الاكويني (+ ١٢٧٤) والقديس بناونتورا التوسكاني (+ ١٢٧٤) ودون يوحنا سكوت (+ ١٣٠٨) وليسوا من الفلاسفة الوضعيين بل هم اساتذة من شأنهم ان يجمعوا الحقائق التي يتوصل العقل البشري الى معرفتها بذاتهِ وينظمها في سلك فلسفي سهل المنال مستندين فيها الى القياس المنطقي الذي هو دعامة الفلسفة الجدلية التي عُرفت عند الخاصَّة من ذويها بفلسفة القرون الوسطى

واول من جرى على هذا الاسلوب هو القديس يوحنا الدمشقي كبير فلاسفة العصر المتوسط وكتابهُ المعنون (المقالات المائة) هو مختصر في اللاهوت الاعتقادي رتَّبهُ على نسق فلسفي جامعاً فيهِ ضروب الفصاحة والبلاغة معاً فدُعي بسببهِ ابا الفلاسفة واللاهوتيين المدرسيين

على ان المجلّي في هذه الحلبة انما هو القديس توما المدعو ملاك المدارس الذي

١) يُقسم علم اللاهوت الى طريقتين الطريقة المعروفة بالوضعية (Théologie positive) وغايتها البحث عن حقائق الايمان في الاسفار المقدسة وتقليد الكنيسة المتواتر . والطريقة المدرسية (Théologie scolastique) وجلُّ مقصودها ان تفسّر المعتقدات المرحى بها باظهار حقيقتها وحدودها واسبابها ومناعيلها مع العلاقة التي تربط بعضها ببعض و بيان موافقتها للعقل والردّ على حجج مناقضيها ومجمل القول انَّ الطريقة اللاهوتية الوضعية تبحث عن وجود العقائد والمدرسية تسعى في ادراك تلك الحقائق الاعتقاديَّة (المشرق)

طرس على آثار القديس اوغسطين العلامة الشهير. قال الاب مارين دي بواليف اليسوعي في كتابه الفلسفي: ان توما كان معدن النظام واوغسطين معدن الاختراع ذاك جمع المواد كداود وهذا شاد البناء. كايمان ذاك كان افلاطونياً مسيحياً نجساً وهذا كان ارسطوطالياً كاثوليكياً قحاً ذاك اختصر وهذب واكمل افلاطون الذي اصلحهُ ارسطو وهذا اختصر اوغسطين وارسطوطاليس مفسراً ما وضعهُ هذا وشارحاً ما ألفهُ ذاك وبالنتيجة ان اوغسطين ألف بين افلاطون وارسطو واما توما فألف بين الثلاثة جميعاً. وعليه قد اصاب المعلم كوزان فيما قالهُ عن توما: انهُ اراد ان يكون استاذاً فعز نظيره وانفرد بفصاحته فلُقب بشمس المدارس وسما بفضاء اقوالهِ فكُني ببرق الكنيسة واجاد في سمو تعاليمهِ فدُعي الاستاذ الملكي. اجل لا جزالة ولا ببرجة ولا بلاغة لانشائهِ ولكنهُ ذو قوة وايجاز وطلاوة تخلب الالباب. واخطر من هذا ما شهد السيد الخلص بهِ بخطورة تآليفهِ حيث خاطبهُ وهو جاثٍ ومصلٍ لدى صورة المصلوب بهذه الالفاظ الالهية: «يا توما قد كتبت عني حسناً فما تكون مكافأتك». فاجاب الاستاذ القديس: «ما هي الاَّ انت وحدك» فما اعظمها شهادة صادق عليها لا مؤرخو عصره فقط بل البابا اقليمس الثامن ايضاً. وسترى في الفصل الآتي ما اصابت تعاليمهُ من الاعتبار والانتشار

ومن اشهر مؤلفاتهِ «الخلاصة اللاهوتية» التي بسط فيها المباحث اللاهوتية والفلسفية والادبية بطريقة القياس المنطقية فيما هو يتحد فيها الايمان والعقل ويقرن الى الحكمة البشرية الحكمة الالهية السامية ويؤلف بين مبادي الفلسفة واقوال الاباء القديسين المشاهير تراهُ يميز بين الايمان والعقل ويحمي ذاك ويرقي هذا الى اسمى درجات الطبيعة البشرية. فخلاصتهُ هذه خلاصة الفلسفة التامة. وقد طبعت في جملة مؤلفاتهِ في رومية سنة ١٥٧٠ وسنة ١٥٧١ وطبعت في باريس سنة ١٦٣٦ وما بعدها وطبعت في البندقية سنة ١٧٤٥ وطبعت في يوم من صقلية سنة ١٨٥٧ وما يليها. وقد لخصت هذه الخلاصة وترجمت الى لغات اخرى عدة ترجمات مما لا محل لذكره هنا. ونقلت ايضاً الى اللغة العربية مرات مما ستقف عليه في الفصول التابعة من هذه المقالة ان شاء الله

٢ في انتشار تعاليم توماوية

وعليه أعجب الاحبار العظماء بالقديس توما واجلُّوا حكمتهُ البالغة وانزلوها منزلتها العالية وأطروها غاية الاطراء فشهد اقليمس السادس وبيوس الخامس وبنادكتوس

الثالث عشر وسواهُ من الاحبار بما اولى تعليمهُ الكنيسة الجامعة من عجيب الرونق والبهاء. واعترف البابا بيوس الخامس بان تعليمهُ يحزي البدع ويفنِّدها ويبيدها ويقي العالم المعمور باسره من الغوايات الرديَّة. وقال ايضاً البابا اقليمس الثاني عشر: ان الكنيسة قد جنتْ من مصنفاتهِ ثماراً كثيرةً فهو خليق بما تؤدّيه الكنيسة من الاجلال لكبار أئمتها من مثل غريغوريوس وامبروسيوس واغسطينوس وايرونيموس

بل تنافس بهِ آباء الجامع المسكونية حتى كأنهم رأوه في مجامع ليون وڤينّة وفلورنسا في مقدَّمة لفيف الآباء فيما يتداولونهُ ويبرمونهُ من الاحكام مفنِّداً بعزيمتهِ الناهضة اضاليل المشائين والمبتدعين والبرهانيين الجاحدين. قال الطيّب الاثر البابا لاون الثالث عشر: على ان اعظم ما حُفَّ بهِ من الاجلال وخُصَّ بهِ دون غيره من مشاهير الكاثوليك قد اتاه من آباء المجمع الواتيكاني لمَّا اقاموا على المذبح في بهرة المجمع المقدَّس كتاب القديس توما الاكويني المعروف بخلاصة اللاهوت مفتوحاً الى جانب الصحف المقدَّسة والخطوط الحبرية يرتشفون من منهلهِ زلال الاراء السديدة والنصوص والاسانيد الكريمة

وقد رأى احبار رومية العظمى ان يكون القديس توما بمنزلة دستور واستاذ تتفقَّهُ بحكمتهِ المنتديات العلمية والمدارس الكبرى آمنةً من مزالق الزلل وبوادر الخلل قال البابا اوربانس الخامس في اثناء كلامهِ الذي وجههُ الى منتدى طولوز العلمي ما تعريبهُ: « انا نزيد بكم وثأركم يقتضي رسالتنا هذه ان تتبعوا الطوباوي توما لكونهِ صادقاً وكاثوليكياً بحتاً وان تكبُّوا بكل عزمكم على بسطهِ ». وحذا حذوهُ اينوكنت الثاني عشر في امرهِ المنفذ الى مدرسة لوڤان الكلية. وجرى على منهاجهِ بنادكتوس الرابع عشر في امره الذي صيرهُ الى المدرسة الديونيسيانية القريبة من غرناطة. وقال اينوكنت السادس وقولهُ فصل الخطاب في اتباع التعاليم التوماوية وهذا حرفهُ: « ان لتعليم القديس توما مزيةً على سائر التعاليم ما خلا الاسفار المنزلة باحكام كلامهِ وضبط تعابيرهِ وصحة قضاياهُ فمن يتمسَّك بهِ يأمن الشرود عن الصراط القويم وما ناقضهُ احد في وقت ما الَّا سقط في شبهة الضلال. وأحرِ بهذا القول السامي ان يُكتب بالتبر لا بالحبر على وجه الدهر بياناً لقدر الحكمة التوماوية الباهرة

فاصاخ للغرب الى صوت هداة الكنيسة ومناور حكمتها في مجامعها العامَّة واقبل

اهلهُ على ان يتصفحوا تصانيف هذا النابغة الخالد الذكر باجتهاد ليس وراءهُ زيادة لمستزيد بل ان يكبُّوا على دراسة حكمتهِ البالغة وتحصيل تعاليمهِ الرائقة برغبةٍ ليس بعدهـا مطلع لناظر من مثـل سوارس اليسوعي الفيلسوف واللاهوتي الشهير وبسويت الخطيب والفيلسوف الخطير وسواهمـا من مشاهير الفلاسفة والأيمة اللاهوتيين في الاعصر الغابرة

واوعز واضعو الطوانق الرهبانيـة الى مقتفي خطتهم ومنتهجي طريقتهم بدراسة المعـارف التوماوية وحذروا على ايٍّ منهم الحيد او الزيغ عن جادتها المثلى ولو قيد خطوة من مثل الرهبان الدومينيكيين والرهبان البناديكتيين والرهبـان الكرمليين والرهبان الاوغسطينيين والرهبان اليسوعيين الافاضل وسواهم على ما شهدت بهِ كتب قوانينهم وطوانقهم

وكنت ترى اذ ذاك معاهد الادب ومنتديات العلم التي عمرت بالغرب منتشرة في باريس وسلامنك ودواي وطولوز وبادوا وبولونيا ونابولي وكومبرا والقلعة (Alcala) الى اخرى غيرها كثيرة كانت حجة الفلسفة في معضل القضايا بلا معـارض وعرى غرض المستفيدين في عويص المشاكل اللاهوتية بلا منازع. وقد كان القديس توما استاذ هذه المعاهد الخطيرة التي دُعيت بكل صواب معاهد الحكمة البشريَّة وكان استاذتها وطلبتها اجمعون يرتاحون الى تعاليمهِ السامية دون سواهُ ويجمعون على الوقوف عنده والتعويل عليهِ وكفى بهذا دليلًا واضحًا على انتشار الحكمة التوماوية في المغرب بما لم يسبق اليهِ سابق في احد العصور الدارجة (انظر خط البابا لاون الثالث عشر الصادر في ٤ آب سنة ١٨٧٩)

واما في المشرق فلم تُنشر التعاليم التوماوية بين شعوبهِ الا بعـد ارتداد الطوائف المنفصلة الى الوحدة الكاثوليكية فاقبلوا على ارتشاف زلال حكمتها الصافية بعد ان ادركوا خطورتهـا. واول من اعرفهُ منهم انما هو طيموثاوس اسحق مطران آمد (١ السرياني الكاثوليكي الذي استشهد بالقديس توما ونشر آراءهُ بين الشرقيين وتحرَّاهُ

---

١) هو اسحاق ابن جبير الذي روى ترجمتهُ حضرة الخوري اسحاق ارملة في العدد السابق من المشرق (ص ٢٨٦)

في طريقته المدرسية الجدليَّة في كتابه المعلَّم : مدرك النجاة وحجة الفوز بالحياة (١ انظر منهُ الفصل الـ ١ من الاصحاح الـ ١ في القول عن الاتحاد الاقنومي وامكانه

وبعد ان تلقَّى تلاميذ باقي الشرقيين معارفهم في المدارس الرومانية واول من اعرفهُ منهم العلامة اسطفان الدويهي الذي اكثر من سابقه في الاستناد الى مار توما في كتابه الخطير المسمى بمنارة الاقداس في تفسير القداس . والثاني الفيلسوف الخوري بطرس التولي الذي جرى على اثار القديس توما وفاق كل متقدميه في الاكثار من الاراء التوماوية في كتابه المعروف باللاهوت النظري في اجزائه الخمسة . وأقف عند هؤلاء العلماء المشاهير خوف ملل القراء الكرام

٣ في تعريب الخلاصة اللاهوتية

على ان هذا السند وتلك الشهادة ليسا هما الَّا مُدًّا من قطر ومثلًا من بحر لا ينقع امج طلَّاب المبادئ الفلسفية والاصول اللاهوتية الجدلية في ذلك العهد الذي كان الاباء والعلماء احوج فيه الى مدافعة مناهضي الدين الكاثوليكي في ارتدادات الطوائف الشرقيَّة المعروفة فشمَّر اهل المعرفة عن ساعد الجد الى اخراج تلك اللآلئ التوماوية من اصداف العجمة وابرازها مجاوَّة على روَّامها تتهادى في حلَّتها العربية الانيقة . وهانذا اذكر من عرفتهُ من هؤلاء النقلة الافاضل الواحد تلو الآخر ببعض تقديم وتاخير اقتضاهُ المقام

١) لا بد من ادراج فصول الكتاب للتعريف به وهي : الاصحاح الاول في الاتحاد الاقنومي وامكانه . والاصحاح الثاني في خاصة الاتحاد الاقنومي . والاصحاح الثالث في تمام التجسد . والاصحاح الرابع في بيان كيفية صيرورة التجسد . والاصحاح الخامس في كيفية صيرورة التجسد من طرف الطبيعة المأخوذة . الاصحاح السادس ان الكلمة اخذ الطبيعة الانسانية بكل اجزائها الذاتية حقيقيًا . الاصحاح السابع في كيفية اقتران التجسد وانتهائه الى حد غايته . وكل اصحاح منفصل الى فصول وكل فصل مجزأ الى مقاصد . والمؤلف يقتد فيها النسطورية واليعقوبية والمونوثلية والاريوسية والمرقيونية وسواها من اضاليل الشرق . وممن يستشهد بهم من اللاتين ما خلا القديس اوغسطين القديس توما والمعلم سكوتو . فالظاهر ان المؤلف اخذ شهاداتهم اما بنفسه او بواسطة احد رهبان الفرنجة الفرنسيين او الكبوشيين او اليسوعيين . وجزء كبير من هذا الكتاب مورد بادلته وشهاداته في كتاب المرآة الوضية او الجلية ليوسف الثاني بطريرك الكلدان وعلى كل يصحُّ قول السمعاني ان الاسناد والشهادات غير مدققة انظر وصف المرآة في مكتبته الشرقية (٣ : ٦٠٥)

والنسخة التي بيدي من مخطوطات القرن السابع عشر امتلكها فتح الله بن سفر الشنا السرياني في ٢٥ ايلول سنة ١٧٢١ وخطها ليس بجلي واضح

فنهم الحصروني وهو الاسقف يوحنا بن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبي الحصروني الماروني اخذ دروسهُ عن مدرسة رومية المارونية وفي سنة ١٦٠٣ رقاهُ البطريرك يوسف الرزي الى الاسقفيَّة وبعث بهِ الى رومية في حاجات الطائفة فنهض بعبء بعثهِ بما عهد بهِ من النشاط. وفي سنة ١٦٠٦ انتهى الى حلب قضاء لبعض المهامّ فحمل الطائفة فيها على متابعة الحساب الغريغوري دون مبالاة بخصمائهِ الذين بذلوا اقصى الجهد في مناهضتهِ فاخفقوا سعياً. وعاد الى رومية فادركتهُ الوفاة فيها سنة ١٦٣٢ ومن آثارهِ الادبيَّة ترجمتهُ للجزء الاول من الخلاصة اللاهوتيَّة ولا ادري ما جرى بها وما هي قيمتها العلمية (انظر ص ١٨٥ و٢٠٣ و٤٠٥ من تاريخ الدويهي)

ومنهم التولاوي وهو الخوري بطرس بن بطرس بن اسحق زيتون التولاوي والحلبي الماروني ولد بتولا من عمل البترون وتلقى دروسهُ بالمدرسة السابق ذكرها وفي سنة ١٦٨٢ اعلاهُ العلامة البطريرك اسطفان الدويهي الشهير الى درجة الكهنوت وعهد اليهِ مناظرة ارزاق الكرسي البطريركي الى ان ارسلهُ الى خدمة موارنة حلب فاظهر من الهمة في الخدمة في سبيل الله والقريب ما يخلد لهُ الاحدوثة الطيبة الى ما شاء الله ولقي ربهُ فيها سنة ١٧٤٦. اقرأ ترجمتهُ في المشرق (٦ : ٧٦٩—٧٧٧) ومن تركتهِ العلمية على ما شافهني بهِ حضرة صديقي الفاضل الخوري ق. . . . تعريب الخلاصة اللاهوتية قال انهُ رأى هذا في نسخة مكتبة حلب المارونية الاتي ذكرها التي كانت باقية عند جناب الاديب موسى افندي صفير صاحب مكتبة المعارف فأطربني هذا الخبر الذي جهلتهُ في جدول تآليف التولاوي (المشرق ٦ : ٧٧٥) واتيحت في رحلتي الاخيرة الى بيروت على طلب هذه النسخة لاعادتها الى المكتبة المذكورة ولكن ما اشدَّ ما كانت خيبتي عند مراجعتها حيث رأيتها من تعريب اسحق بن جبير الاتي ذكرهُ والظاهر ان صديقي شبَّه عليهِ اسحق هذا بمجد التولاوي فظنَّهُ اياهُ وشتَّان بين الاثنين

ومنهم الموصلي وهو المفريان اسحق بن عبد الحي بن جبير الموصلي السرياني(١ ولد بالموصل في الربع الثاني من القرن السابع عشر وتلقى دروسهُ الابتدائيَّة بها وأتمها برومية فغدا ماهراً في السريانيَّة واللاتينيَّة عارفاً بالعربيَّة واعتنق الكثلكة في جملة من اعتنقها اذ ذاك فجعلهُ البطريرك اغناطيوس بطرس غريغوريوس الكاثوليكي مفريانًا على الشرق

١) الطلب ترجمتهُ في العدد السابق (٢٨٦—٢٩١)

بعد ارتقائه الى البطريركية في سنة ١٦٧٨ فجعل اسحق مقرَّهُ في آمد (دياربكر) يتحمل مناصبة اعدائهِ اليعاقبة لهُ حتى اضطرُّوه الى الرحيل فارتحل عنها الى حلب الشهباء. وعمرها مدة الى ان استطاع الهرب الى رومية في رفقة يشوع عبد الاحد مطران اورشليم ويوسف سفر مطران ماردين وبعد وفاة بطريركهِ السابق الذكر اختارهُ الكاثوليك بطريركاً في خبر ليس هنا محلُّهُ (١ وهو اذ ذاك في الاستانة ولا باس ان ابتسر الخبر فاقول انهُ آثر العزلة على البطريركية وقفل عائداً الى رومية في سنة ١٧٠٦ وقطنها اعواماً متطاولة الى ان استاثرت بهِ رحمة الله في سنة ١٧٢١. ومن آثاره الادبية (٢ ترجمتهُ الخلاصة اللاهوتيَّة (٣ في اربعة مجلدات ضخمة. المجلد الاول في ٦٨١ صفحة كبيرة ويحتوي على القسم الاول من الاصل اللاتيني وينتهي بالبحث المائة والتاسع عشر: في انتشار الانسان بالنظر الى الجسد. والمجلد الثاني في ٥١٦ص وينطوي على الجزء الاول من القسم الثاني ويختتم بالبحث المائة والرابع عشر: في ان الاستحقاق معاول النعمة الفاعلة. والمجلد الثالث في ٨٧٥ ص ومداره على الجزء الثاني من القسم الثاني وتواليهِ البحث المائة والتاسع والثمانون: في الدخول الى الرهبنة. والمجلد الرابع في ٤٠٩ ص ومضمونهُ القسم الثالث ومصائره البحث التسعون: في اقسام التوبة اجمالاً. وهذه النسخة الكاملة (٤ من خط واحد وقطع واحد خطها كاتبها يعقوب الارمني الاتي ذكرهُ

---

١) ذكر خبر ارتقائه الى البطريركية في جملة اخبارهِ سيادة الحبر الفضال افرام نقاشة في تاريخهِ للسريان مجلد ٣

٢) اثنى عليهِ اللامة السمعاني وعدَّد تآليفهُ في مقالة الدوفسيين ص ١٧٠ وفي المكتبة الشرقية (٣ : ١٠)

٣) من آثاره غير المعروفة ترجمتهُ عن اللغة اللاتينية (فلسفة ارسطو جميعها) لشارحها (بطرس باربي الباريسي المشهور بين مدرسين (كذا) باريس) ومنها نسخة في مكتبة حلب المارونية تحت عدد ١٩٩ وهي نسخة حسنة تقع في ٦٩٨ ص وكل صفحة ٣٧ سطراً خطَّها الشماس يعقوب السابق الذكر. وقد جاء في اخرها ما حكايتهُ: «هذا كتاب الفلسفة قد اخرجهُ الحقير برؤساء الكهنة المفريان اسحق من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربية برومية الكبرى حماها الله في ايام الحبر الاعظم اقليمنطوس١١ (١٧٠٠–١٧٢١) صانهُ الله اياماً عديدة امين يا معين» ويليه بخط فرحات: «قد انتهى هذا الكتاب وارتفه على كتبة مار الياس الحقير في رؤساء الكهنة جرمانوس استف حلب بثمن ٦٣ اسديًّا» وذلك سنة ١٧٢٦. وأقف عند هذا الوصف الى غير هذا الموضع

٤) في مكاتب حلب مجلدات متفرقة من هذه الترجمة ففي مكتبة الروم الكاثوليك نسخة من

بحبر اسود واحمر وجعل رؤوس الفصول والابحاث بحبر احمر وازرق واصفر وكل مجلد منها مبدوء بعد البسملة بما حرفهُ: « نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم: المختصر في الالهيات للمار ترما الاكويني المعلم اللاتيكي ». وفي ظاهر هذه الصفحة ما خلاصتهُ: « ان جرمانوس فرحات قد اوقف هذا الكتاب وقفاً مؤبداً على كنيسة مار الياس في مدينة حلب باعتناء يوسف بن اغوسطين الهندي وفرنسيس بن حنا حصرم في سنة ١٧٢٦ » ويليها بخط جرمانوس نفسهِ ما حكايتهُ: « هذه هي النسخة الاولى (١ المترجمة من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية في مدينة رومية وعليها المعوَّل لانها كلية الصحة ». وفي آخر كل مجلد يستفاد ما نصهُ الحرفي: « قد اقتنى هذا الكتاب من ماله الحقير في رؤساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب » فابتاع كلًّا من المجلد الاول والثاني بثلاثة وخمسين اسدياً وكلًّا من المجلد الثالث والرابع بثلاثة وسبعين اسدياً فتكون الجملة ٢٥٢ اسدياً والاسدي يساوي غرشاً واحداً تكسيرهُ اذ ذاك على ٥ فرنكات فيكون ثمنها الفاً ومئتين وعشرة فرنكات من النقود الدارجة اليوم

وقد جاء في آخر المجلد الثالث ما روايتهُ الحرفية: « الحمد لله رب العالمين على انعامهِ واحسانه اجمعين والذكر الصالح لوالديه وقديسيه امين . قد تمَّ الكتاب بعون الملك الوهاب في رومية الكبرى (٢ على يد احقر العباد الشماس يعقوب بن بقدسار القسطنطيني ارمني المذهب قاتوليقي العبد (٣ غفر الله لهُ ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات

المجلد الاول وفي مكتبتي الخطية نسخة من المجلد الثالث وفي مكتبة الورتيت الفاضل بولس بليط جزء من المجلد الرابع الى نسخ اخرى في مكاتب الشرق والغرب (راجع العدد السابق من المشرق ص ٣٩٠ وأضف على ما ذُكر هناك نسخة مصونة في دير الشير للروم الكاثوليك)

١) لا يُعترض على فرحات بترجمة الحصروني السابق ذكرها فالظاهر انها غير مروقة او غير شائعة وبالتالي غير تامة كما مرَّ بك سابقاً

٢) يذهب سيادة الحبر العالم السابق الذكر الى ان ابن جُبير يعرِّب الكتاب في الاستانة وفي ظني انهُ عرَّبهُ في رومية او انهُ ابتدأ بهِ في تلك المدينة وانجزه في هذه على ما يظهر من تضاعيف هذه الحاشية

٣) عند ارمن حلب تقليد في ان المعرب ارمني على ما اخبرني بهِ حضرة صديقي العالم الورتيت ب . . . . من الجدلي المشهور حنا مخلاجي رحمهُ الله ولكنهُ لا يُعرف اسمهُ ولا نسختهُ المعربة والظاهر ان التقليد مسنود الى يعقوب السابق الذكر فقام في ظن البعض انهُ المعرِّب وروى الخبر البعض الاخر بلا تدقيق مع انهُ الناسخ فقط

بالمسيح والدين الصحيح في اليوم الثامن من شهر كانون الاول نهار عيد حبل العذراء في بطن امها من شهور سنة ١٧٠٨ مسيحية (١ . فهذا ثاني القسم الثاني من مختصر مار توما الاكويني المعلم الملائكي المتكلم بالالهيات . وهو ما (مما) ترجمهُ من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربيَّة العبد الضعيف النحيف الحقير في روُساء الكهنة المفريان اسحق الموصلي ابن المرحوم شماس عبد الحي سرياني البيان قاتوليقي الجنان عفى الله عنهُ وعن والديه . فصار ذلك برفقة اخوتنا الكرام المطران يشوع خادم القدس الشريف واسقف (كذا) سفر اسقف ماردين حرسهما الله وعفى عنهما وعن والديهما اجمعين امين يا معين . حُرّر في كنيسة السريان داخل روميـة الكبرى » . وبعدها كلمات مكشوطة لا يتبين منها سوى : وقف « الدير الموما اليه » انتهى

وهذا التعريب اول تعاريب الكتاب التامَّة المعروفة واصدق دليـل على جلَد ابن جُبير وجزيل فضلهِ على ابناء جلدتهِ الشرقيين في نشره مثل هذا الكتاب الجدلي الفلسفي واللاهوتي المنقطع النظير . تغمَّد الله معربهُ وناسخهُ ومقتنيهِ بالرحمة والرضوان

٤ في معارضة ترجمة الخلاصة

ولما قضى الله بافضاء الرئاسة الكبرى البطريركيَّة الى داهية البشر البابا لاون الثالث عشر وجَّه طرف عنايتهِ الى انعاش الحكمة الحقَّة بعد خمولهـا فاشار في خطهِ الرسولي الآنف الذكر الى تعليم العقائد الدينية والحقائق الفلسفيَّـة على الطريقة التوماويَّة واعتماد كتابهِ الموصوف فهبَّت مدارس الغرب الى اقتباس فوائده من خلال حكمتهِ البالغة في حين ان ترجمتهُ المار وصفها كانت في الشرق ملقاة في زوايا المكاتب لا يستفيـد منها الخاصة شيئاً فضلاً عن العامَّة . فدفعت عندها النخوة الشرقيَّة سيـادة الجهبذ العلامة المفضال المطران بولس عواد الى ان يصرف منتهى غايتهِ في تعريبها عن الاصل اللاتيني تعريباً جامعاً بين البلاغة والاحكام وابرازها من تحت ملزم الطبع الى عالم القراء ليعلم نفعها الخاص والعام . وهنا لا بدَّ من معارضة ترجمتهِ بالترجمة القديمة ليظهر لك فيها مزية هذه على تلك يسوق اليها مساق البداهة وان تكن من المقررات الواضحات وضوح الشمس في رابعة النهار . وقد اخترت الفصل الـ ٤ من البحث والقسم الاولين لاختصـاره خشية ملل القراء وهو هذا :

١) اي قبل وفاة المعرب بثلاث عشرة سنة

الترجمة الجيزية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

اعتراض اول يقولون ان التعليم المقدس هو علم عملي لكون غاية العلوم العلمية هي العمل كقول الحكيم في ب (٢) من الالهيات والتعليم المقدس قد ترتب للعمل كقول يعقوب الرسول صح ١ كونوا فعلة الكلمة لا مستمعيها فقط . فاذاً التعليم المقدس هو علم عملي

ع ب يقولون ان التعليم المقدس ينقسم الى العهد العتيق والجديد والشريعة تتعلق بالعلم النقلي فهذا علم عملي فاذاً التعليم المقدس هو علم عملي

فهذا خلف لكون كل علم عملي هو في الاشياء العملية الواجب فعلها للناس كالفقه في اعمال الناس والمعمارية في افعال البناء والتعليم يختص بالله اولياً وافعالهُ تعالى بالحري هم الناس فاذاً التعليم المقدس ليس بعلم عملي بل بالحري نظري

المقصد في ان التكلم بالالهيات المقدس هو علم عملي ونظري بنظام عالٍ لكنهُ نظري اوفر من ان يكون عملياً . الدليل نقول كما مرَّ ان التعليم المقدس اذ يقوم واحداً فيستند الى الامور المختلفة بالعلوم الحكمية المختلفة بسبب التصوير الصوري فهذا يراعى بامور مختلفة اعني من حيث انها معروفة بالنور الالهي فحقاً ان العلوم الحكمية بعضها نظري وبعضها عملي ولكن التعليم المقدس يتضمن كليهما كما ان الله تعالى يعرف ذاتهُ القدسية ومصنوعاتهِ بعلم واحد لكنهُ نظري اكثر من ان يكون عملياً لكونهِ يبحث خاصةً عن الامور الالهية اوفر من بحثهِ عن الافعال البشرية التي يشتمل بها حسبما يرتب بها الانسان الى معرفة الله الكاملة القائم بها السعادة الابدية

ومن هذا بيان جواب الاعتراضات

الترجمة العوّادية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

يتخطى الى الرابع بان يقال يظهر ان التعليم المقدس علم عملي لان غاية العلم العملي العمل كما قال الفيلسوف في الالهيات ك ٢ م ٣ والغرض المقصود من التعليم المقدس هو العمل كقولهِ في يع ١ : ٢٢ (كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين لها فقط) فاذاً التعليم المقدس علم عملي

٢ وايضاً ان التعليم المقدس ينقسم الى شريعة عتيقة وشريعة جديدة . والشريعة من قبيل علم الاخلاق الذي هو علم عملي . فاذاً التعليم المقدس علم عملي

لكن يعارض ذلك ان كل علم عملي يبحث عما قد يمكن ان يعملهُ الانسان كما يبحث علم الاخلاق من افعال الناس وعلم البناء عن الابنية . والتعليم المقدس يبحث بالاصالة عن الله الذي هو بالاحرى صانع الناس فاذاً ليس علماً عملياً بل نظرياً

والجواب ان يقال ان التعليم المقدس على كونهِ واحداً يعمُّ ما تبحث عنهُ علوم فلسفية متمايزة لانهُ ينظر الى الامور المتمايزة من جهة صورية جامعة اي من حيث هي مدركة بالنور الالهي : فاذاً وان كان النظري من العلوم الفلسفية غيراً والعملي غيراً فالتعليم المقدس مع ذلك شامل لكليهما كما ان الله ايضاً يعلم نفسهُ وآثارهُ بعلم واحد . الّا ان كونهُ نظرياً ارجح على كونهِ عملياً لان بحثهُ عن الامور الالهية اصل منهُ عن الافعال الانسانية التي انما يبحث عنها من حيث ان الانسان يتأدى بها الى معرفة الله التامة التي بها السعادة الخالدة

وبذلك يتضح الجواب على ما اعترض بهِ

فمن تتبّع هذين التعريبين دون كدّ ذهن وتصفّح اسلوبهما بلا اعمال روية واعتبر بعضهما ببعض فلا جرم انهُ يرى التعريب القديم حسنًا على الجملة ولكنهُ قلق الاسلوب ساذج الانشاء والعبارة فيهِ غير نضيجة بل غير مهذّبة والمعرّب رحمهُ الله على معرفتهِ بالعربيّة جرى فيهِ على الاصل اللاتيني الّا ما اشكل عليهِ بيانهُ فافرغهُ في مثل تلك القوالب التي يبدو على اكثرها مسحة العجمة (اي التعريب الحرفي) وابرزهُ في مثل تلك الالفاظ التي لا تخلو من هجنة العامي وهذا احد الادلّة على قلة خلاعتهِ من مصنفات الحكمة حتى يتخيّر في التعابير ما تخيره فلاسفة العرب من الالفاظ المنتقاة والمصطلحات الفلسفية المتداولة المشهورة على ما يعرفهُ اهل الذوق السليم(١. على ان هذا لا ينضّ من قدرهِ ولا يحطُّ من فضلهِ فهو السابق في هذه الحلبة المجلّي في هذا الفضل وقد جاء بما وسعهُ ذرعهِ وهل يطالب المرء باكثر مما عندهُ فليس فوق الطاقة مطلب

واذا اعتبر التعريب الحديث وجدهُ اتقى ديباجة واخلص الفاظًا واكثر تفننًا بل يرى من المتانة والاندماج والانسجام وانقياد الاغراض وانتقاء الالفاظ ما يخيل لهُ في عبارة سيادة المعرب ان هناك جوهرًا صافيًا ونسقًا مطردًا لا يتوقف دونهُ الفكر ولا يعترض بيانهُ لبس ولا اشكال ولو لم يكن لسيادتهِ فيهِ الّا انهُ كساهُ من ديباجة لفظهِ ووشّى بيانهِ ما جعلهُ من الطراز الاول بين المعرّبات في هذا العصر الزاهر لكفاهُ دليلًا على غزارة فضلهِ ورئاستهِ بين ارباب البلاغة وامراء الانشاء

وقد حسن هذا التعريب الدقيق العزيز النظير في بابهِ وقعًا في العالمين فتبسم لهُ ثغر الابن الاقدس والسادة البطاركة والمطارنة مسرّةً وارتياحًا وترنمت لهُ معاطف العلماء اللاهوتيين إكبارًا واجلالًا وشرفهُ عظماء الدين والعلم برسائل عديدة اودعوها اطيب الثناء على براعتهِ واجزلوا لهُ فيها من عبارات التنشيط وامر الحبر الاعظم ان يُطبع المجلدان الاولان من تعريبهِ الموصوف على نفقة الكرسي الرسولي. ومن الغريب ان يكون بلديّهُ الحصروني السابق الى تعريبهِ هذا الاثر الخطير كما ان سيادتهُ حفظهُ الله السابق الى ابرازه الى عالم المطبوعات العربية فجاء من الصالحات الباقيات التي تستطق لهُ افواه الناطقين بالضاد بالحمد والثناء. فالله نسأل ان يأخذ بيدهِ في متابعتهِ واطرادهِ عودًا على بدء انهُ اللطيف الكريم

١) نظنُّ ان حضرة كاتب المقالة بالغ في وضعهِ من قدر الترجمة الجبيرية (المشرق)

ذيل

يخطر لي الحق الصراح الى ان اعان على رؤوس الملا ان سيادة المغرب المفضال نشر المجلد الاول من ترجمته سنة ١٨٨٧ قبل ان يقف على الترجمة الجيبية السابق وصفها بنحو سنتين على ما يشاهد بكل جلاء في وصل استعارته هذه الترجمة المصون في خزانة مكتبة حلب المارونيّة فاقتضى التنبيه دفعاً لظنون من يزعمون بان سيادته طالعها او استعان بها من قبل وان يكن من المعروف المقرر انهُ حفظهُ الله ليس هو ممّن يحومون على مثل هذا الورد

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكننا جمعهُ من تراجم أدباء تلك الجهات

(سليمان الحرازي) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرازي الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) واصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينية في وطنهِ ثمّ تفرّغ لدرس اللغة الفرنسويّة والعلوم الرياضية والطبيعيّات والطب. وعهد اليهِ تدريس الرياضيّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمّ اتخذه باي تونس كاتب ديوانهِ. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيّة وكان يحرر في جريدة عربية هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسماً من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمّ طبعهما على حدة. وممّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد بن محمّد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سمّاه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها « بالقول الحقّ في تحريم البنّ المحرق ». وعرّب الاصول النحويّة للغوي الفرنسويّ لومون (Lhomond). وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيّات والظواهر الجويّة لخّصهُ عن كتب الفرنج وسمّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في